
الإعلام
بأن الإسلام رسالة سلام
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي
اصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني



الْإِعْلَامُ

بِأَنَّ الْإِسْلَامَ رِسَالَةُ سَلَامٍ



كَتَبَهُ

أَبُو أَحْمَدَ

سَيِّد عَبْد العَاطِي بن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيّ

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للَّهِ خَالِقِ الْأنَامِ، وَمُدَبِّرِ اللَّيَالِي وَالْأيَّامِ،وَمُصَرِّفِ الشُّهُورِ وَالْأعْوَامِ،الْمَلِكِ الْعَلَّامِ،الْقُدُّوسِ السَّلَامِ،وَأشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْبَقَاءِ وَالدَّوَامِ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْقُدْوَةُ الْإمَامُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أفْضَلُ صَلَاةٍ وَأزْكَى سَلَامٍ.

أمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ بِعُنْوَانِ{الْإعْلَامُ بِأنَّ الْإسْلَامَ رِسَالَةُ سَلَامٍ} فَأقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

-مِنَ الْمَبَادِئِ الْأسَاسِيَّةِ للإسْلَامِ أنَّهُ دِينُ السَّلَامِ،فَمِنْ أسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى السَّلَامُ، وَدِينُنَا الْإسْلَامُ،وَتَحِيَّتُنَا السَّلَامُ،وَدُخُولُ الْجَنَّةِ مَنُوطٌ بِتَحْقِيقِ الْإيمَانِ،وَلَا يَتَحَقَّقُ الْإيمَانِ إلَّا بِالتَّحَابِّ،وَلَا يَتَحَقَّقُ التَّحَابُّ إلَّا بِإفْشَاءِ السَّلَامِ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٤) مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ }.،وَأوَّلُ رِسَالَةٍ وَجَّهَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-للبَشَرِيَّةِ عِنْدَمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا كَانَتْ رِسَالَةَ السَّلَامِ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ ابْنُ مَاجَه-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٦٤٨)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْن سَلَامٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ، لأنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أوَّلُ شَيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أنْ قَالَ:{ يَا أيُّهَا النَّاسُ أفْشُوا السَّلَامَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ }.

،وَالْمُتَدَبِّرُ للقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أنَّ لَفْظَ السَّلَامِ قَدْ وَرَدَ بِمَا اشْتُقَّ مِنْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أرْبَع وَأرْبَعِينَ آيَةٍ، مِنْهَا خَمْسٌ مَدَنِيَّةٌ، وَالْبَاقِيَاتُ مَكِيَّةٌ، فِي حِين لَمْ يَرِدْ لَفْظُ الْحَرْبِ

إِلَّا فِي سِتِّ آيَاتٍ، كُلُّهَا مَدَنِيَّةٌ. وَهُنَا لَفْتَةٌ جَمِيلَةٌ لَا بُدَّ مِنْ التَّنَبُّهِ إِلَيْهَا؛ وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَدْعُو إِلَى السَّلَامِ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى، وَيَحُثُّ عَلَيْهِ، وَيُرَغِّبُ فِيهِ، وَيَرْفُضُ الْحَرْبَ وَالتَّنَازُعَ وَالْفُرْقَةَ. وَمِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ:

-قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ }.(الأنفال:٦١).

-أَيْ: إِنْ مَالُوا إِلَى الْمُسَالَمَةِ وَالْمُصَالَحَةِ وَالْمُهَادَنَةِ؛ فَمِلْ إِلَى ذَلِكَ، وَاقْبَلْهُ مِنْهُمْ، كَمَا وَقَعَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَة لَمَّا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ الصُّلْحَ وَوَضْعَ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَدْ أَجَابَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى ذَلِكَ مَعَ مَا اشْتَرَطُوا عَلَيْهِ مِنَ الشُّرُوطِ؛ رَغْبَةً فِي السِّلْمِ وَالْمُسَالَمَةِ.



• فَوَائِد مِنَ الْآيَةِ:

(١) الدَّعْوَةُ إِلَى السَّلَامِ وَالصُّلْحِ:

-الْآيَةُ تَحُثُّ عَلَى قَبُولِ الصُّلْحِ مَعَ الْأَعْدَاءِ عِنْدَ إِبْدَائِهِمُ الرَّغْبَةِ فِيهِ، مِمَّا يُعَزِّزُ السَّلَامَ وَيَدْعُو إِلَى نَبْذِ الْحُرُوبِ.

(٢) تَقْدِيمُ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ:

-الْجُنُوحُ للسَّلْمِ فِيهِ مَصْلَحَةٌ للجَمِيعِ، سَوَاء للمُسْلِمِينَ أَوْ لِغَيْرِهِمْ، فَهُوَ يُجَنِّبُ الْأَضْرَارَ وَالْخَسَائِرَ الَّتِي تَلْحَقُ بِالطَّرَفَيْنِ فِي الْحُرُوبِ.

(٣) أَهَمِّيَّةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ:

-الْآيَةُ تَأمُرُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ بَعْدَ قَبُولِ الصُّلْحِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أنَّ اللهَ هُوَ الْمُعِينُ وَالنَّاصِرُ وَأنَّ الْأمُورَ كُلَّهَا بِيَدِهِ.

(٤) الْحِكْمَةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْآخَرِينَ:

-قَبُولُ الصُّلْحِ مَعَ الْأعْدَاءِ عِنْدَ إبْدَائِهِمْ الرَّغْبَةِ فِيهِ فِيهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ، حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى أنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَسْعَوْنَ إلَى الْقِتَالِ لِذَاتِهِ، بَلْ يَسْعَوْنَ إلَى إحْقَاقِ الْحَقِّ وَرَفْعِ الظُّلْمِ.

(٥) الْبَحْثُ عَنِ السَّلَامَةِ وَالرَّاحَةِ:

-الصُّلْحُ يُجَنِّبُ النَّاسَ الْقَتْلَ وَالتَّشْرِيدَ وَالإيذَاءَ، وَيُحَقِّقُ لَهُمُ السَّلَامَةَ وَالرَّاحَةَ وَالاسْتِقْرَارَ.

(٦) الاسْتِفَادَةُ مِنْ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ:

-النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَبَّقَ هَذَا الْمَبْدَأَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، حَيْثُ قَبِلَ الصُّلْحَ مَعَ قُرَيْشٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ رِضَا بَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أهَمِّيَّةِ الصُّلحِ فِي تَحْقِيقِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا }.(النِّساء: ٩٤)، فَقَدْ فُسِّرَ مَعْنَى (السَّلَام) فِيهَا بِـ(السَّلَمِ)؛ أيْ:
بِالْمُسَالَمَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْحَرْبِ. وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ:{ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ }، وَلَمْ يَقُلْ:{ عَلَيْكُم }، فَدَلَّ عَلَى أنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ:
تَرْكُ الْقِتَالِ؛ كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُم فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا }.(النِّساء: ٩٠)، وَقَوْلُهُ:{ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا

رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا }.(النِّساء: ٩١).

-–{ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ } أيْ: مِنْ هَؤلَاءِ الْمُنَافِقِينَ.

-{ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ } أيْ: خَوْفًا مِنْكُمْ { وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا } أيْ: لَا يَزَالُونَ مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، وَكُلَّمَا عَرَضَ لَهُمْ عَارِضٌ مِنْ عَوَارِضِ الْفِتَنِ أعْمَاهُمْ وَنَكَّسَهُمْ عَلَى رُءوسِهِمْ، وَازْدَادَ كُفْرُهُمْ وَنِفَاقُهُمْ، وَهَؤلَاءِ فِي الصُّورَةِ كَالْفِرْقَةِ الثَّانِيَةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ مُخَالِفَة لَهَا.

-فَإِنَّ الْفِرْقَةَ الثَّانِيَةَ تَرَكُوا قِتَالَ الْمُؤمِنِينَ احْتِرَامًا لَهُمْ لَا خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَأمَّا هَذِهِ الْفِرْقَة فَتَرَكُوهُ خَوْفًا لَا احْتِرَامًا، بَلْ لَوْ وَجَدُوا فُرْصَةً فِي قِتَالِ الْمُؤمِنِينَ، فَإنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لانْتِهَازِهَا، فَهَؤلَاءِ إنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُمْ وَيَتَّضِحْ اتِّضَاحًا عَظِيمًا اعْتِزَالُ الْمُؤمِنِينَ وَتَرْكُ قِتَالِهِمْ، فَإنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ، وَلِهَذَا قَالَ: { فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ } أيْ: الْمُسَالَمَة وَالْمُوَادَعَة { وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا } أيْ: حُجَّة بَيِّنَة وَاضِحَة، لَكَوْنِهِمْ مُعْتَدِينَ ظَالِمِينَ لَكُمْ تَارِكِينَ للمُسَالَمَةِ، فَلَا يَلُومُوا إلَّا أنْفُسَهُمْ.

• فَالْإِسْلَامُ دِينُ السَّلَامِ وَالرّحْمَةِ،لِذَا بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أنَّ الْمَقْصِدَ الأسْمَى مِنْ بَعْثَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-هُوَ الرَّحْمَةُ فَقَالَ تَعَالَى:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }.(الأنبياء:١٠٧).

-فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ مِنْ مَظَاهِرِ فَضْلِهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَكُونَ رَحْمَةً لَهُمْ فَقَالَ: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }.

-أَيْ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ - بِهَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ مِنْ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

-وَذَلِكَ لِأَنَّنَا قَدْ أَرْسَلْنَاكَ بِمَا يَسْعَدُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَفِي دُنْيَاهُمْ وَفِي آخِرَتِهِمْ مَتَى اتَّبَعُوكَ، وَاسْتَجَابُوا لِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَأَطَاعُوكَ فِيمَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ أَوْ تَنْهَاهُمْ عَنْهُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:{ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ }. فَرِسَالَتُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَحْمَةٌ فِي ذَاتِهَا، وَلَكِنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةَ انْتَفَعَ بِهَا مَنْ اسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِ، أَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا فَهُوَ الَّذِي ضَيَّعَ عَلَى نَفْسِهِ فُرْصَةَ الِانْتِفَاعِ.

-وَرَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ الْكِشَافِ فَقَدْ وَضَّحَ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:{ أُرْسِلَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ لِأَنَّهُ جَاءَ بِمَا يَسْعَدُهُمْ إِنْ اتَّبَعُوهُ.

-وَمَنْ خَالَفَ وَلَمْ يَتْبَعْ، فَإِنَّمَا أُتِيَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، حَيْثُ ضَيَّعَ نَصِيبَهُ مِنْهَا.

-وَمِثَالُهُ: أَنْ يُفَجِّرَ اللَّهُ عَيْنًا عَذِيقَةً - أَيْ: كَبِيرَةً عَذْبَةً -، فَيَسْقِي نَاسٌ زُرُوعَهُمْ، وَمَوَاشِيَهُمْ بِمَائِهَا فَيَفْلَحُوا، وَيَبْقَى نَاسٌ مُفْرِطُونَ فَيَضِيعُوا.

-فَالْعَيْنُ الْمُفَجَّرَةُ فِي نَفْسِهَا نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَرَحْمَةٌ لِلْفَرِيقَيْنِ. وَلَكِنَّ الْكَسْلَانَ مِحْنَةٌ عَلَى نَفْسِهِ، حَيْثُ حَرَمَهَا مَا يَنْفَعُهَا.

-وَالْمُتَأَمِّلُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ يَلْحَظُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ رَسُولَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِأَنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ فَلَمْ يَقُلْ : رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِرْسَالَهُ رَحْمَةٌ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : مَنْ تَبِعَهُ كَانَ لَهُ رَحْمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ لَمْ يَتْبَعْهُ عُوفِيَ مِمَّا كَانَ يُبْتَلَى بِهِ سَائِرُ الْأُمَمِ مِنْ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالْقَذْفِ .

-وَأَمَّا رَحْمَتُهُ بِالْمُؤْمِنِينَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ فَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ }،لِذَلِكَ حَضَّ عَلَى الرَّحْمَةِ وَرَبَطَهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ فَقَالَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ }.(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رُفِعَ لَهُ ابْنُ بِنْتِهِ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ مِنْ الْمَوْتِ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ:
{ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ }،وَكَمْ نَسْمَعُ مِنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا قَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي } مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي قَدْ يَتْرُكُ الْأَمْرَ أَحْيَانًا رَحْمَةً بِأُمَّتِهِ أَلَّا تُطِيقَ ذَلِكَ .

-وَمِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَتِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَحْمَتُهُ بِالصِّغَارِ ، فَقَدْ كَانَ يُقَبِّلُ الصِّغَارَ وَيُدَاعِبُهُمْ بَلْ وَيُكَنِّيهِمْ ،رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرِ ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ :{ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا } .

-وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : إِنَّ كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ :{ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ }وَالنُّغَيْرُ تَصْغِيرُ نُغَرٍ وَهُوَ طَائِرٌ يَلْعَبُ بِهِ ذَلِكَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ .
-إِنَّ رَحْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ تَجَاوَزَتْ حُدُودَ الْبَشَرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْبَهَائِمِ وَالْحَيَوَانَاتِ سَابِقَةً قَبْلَ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ مَا يُسَمَّى بِجَمْعِيَّاتِ الرِّفْقِ بِالْحَيَوَانِ ، فَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ:
كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً (طَائِرًا صَغِيرًا) مَعَهَا فَرْخَانِ ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتْ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تُفَرِّشُ (أَيْ تَرَفْرِفُ)

فَجَاءَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا }. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ) .

-بَلْ إِنَّ رَحْمَتَهُ بِالْحَيَوَانِ بَلَغَتْ مَبْلَغًا أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى عِنْدَ الذَّبْحِ ، فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ }. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) .

-إِنَّهَا رَحْمَةٌ مَا عَرَفَ التَّارِيخُ مِثْلَهَا أَبَدًا .

-وَمِنْ صُوَرِ الرَّحْمَةِ فِي شَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَحْمَةُ الْمُجْتَمَعِ بِأَكْمَلِهِ وَذَلِكَ بِتَوْفِيرِ الْأَمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ فِي أَرْجَائِهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِرَدْعِ مَنْ يَعْبَثُ بِأَمْنِ الْأُمَّةِ ، وَمِنْ هُنَا شُرِعَتِ الْحُدُودُ وَالتَّعْزِيرَاتُ مِنْ قَتْلِ الْقَاتِلِ وَقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ وَحَدِّ الزَّانِي وَغَيْرِهَا ، فَهَذِهِ الْحُدُودُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ بِعَكْسِ مَا يُصَوِّرُهُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنَّهُ وَحْشِيَّةٌ أَوْ هَمَجِيَّةٌ وَلَكُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ تَتَأَمَّلُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }.(البقرة:١٧٩)

-فَالْحُدُودُ وَإِنْ كَانَتْ فِي ظَاهِرِهَا قَسْوَةً عَلَى شَخْصٍ أَوْ شَخْصَيْنِ إِلَّا أَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ رَحْمَةٌ لِلْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ ، وَالْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْعَامَّةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الْخَاصَّةِ .

-وَمِنْ صُوَرِ الرَّحْمَةِ فِي دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَحْمَتُهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ فَالْأَرْضُ كُلُّهَا لِلَّهِ وَالدِّينُ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ هُوَ الْإِسْلَامُ ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا رَسُولًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَعُمَّ الْإِسْلَامُ

الْأَرْضَ كُلَّهَا ، فَمَنْ وَقَفَ ضِدَّ دُخُولِ الْإِسْلَامِ إِلَى بَلَدٍ مِنْ الْبِلَادِ فَإِنَّهُ يُقَاتَلُ وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيْضًا مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ فِي شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ مِنْ أَشَدِّ الْقَضَايَا الَّتِي تُثَارُ مِنْ قِبَلِ الْكُفَّارِ لِتَشْوِيهِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ وَدَعْوَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

-وَلِلْإِجَابَةِ عَنْ ذَلِكَ نَقُولُ : إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ النَّظَرِ فِي الْحِكْمَةِ مِنْ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَطَرِيقَةِ هَذَا الْجِهَادِ ، فَالْحِكْمَةُ كَمَا تَقَدَّمَ أَنْ يَعُمَّ الْإِسْلَامُ جَمِيعَ الْأَرْضِ ، وَهَلْ مِنْ شَرْطِ الْجِهَادِ أَنْ يَدْخُلَ النَّاسُ جَمِيعًا فِي الْإِسْلَامِ ؟ الْجَوَابُ : لَا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ }.(البقرة:٢٥٦).
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْقَى عَلَى دِينِهِ فَلَهُ ذَلِكَ بِشَرْطِ أَنْ يَدْفَعَ الْجِزْيَةَ إِنْ كَانَ رَجُلًا بَالِغًا عَاقِلًا عَلَى أَنْ يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ الْإِسْلَامِ وَهَؤُلَاءِ يُعْرَفُونَ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ الْجِهَادِ ، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْجِهَادِ فَهِيَ مِنْ أَرْقَى وَأَجَلِّ الطُّرُقِ وَلَعَلَّ مِمَّا يُلَخِّصُهَا قَوْلُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ :
{ اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلَيْدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لهمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لهمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فإنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فلا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ علَى حُكْمِكَ؛ فإنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا } . (الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ:١٧٣١) .

-بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ نَعْرِفُ سُمُوَّ الْجِهَادِ فِي شَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وَأَهْدَافِهِ النَّبِيلَةِ ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ الَّذِينَ يَنْتَقِدُونَ الْجِهَادَ فِي الْإِسْلَامِ فِي حِينِ تَسْمَحُ لَهُمْ نُفُوسُهُمْ بِصِنَاعَةِ قَنَابِلَ هِيدْرُوجِينِيَّةٍ أَوْ جُرْثُومِيَّةٍ تَقْتُلُ فِي ثَوَانٍ مَعْدُودَةٍ مِئَاتِ الْآلَافِ مِنْ الْبَشَرِ ؟!!



- فَوَائِدُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِين - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

(١) الرَّحْمَةُ الشَّامِلَةُ :

-النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا ، سَوَاءٌ كَانُوا مُسْلِمِينَ أَوْ كُفَّارًا ، حَيْثُ شَمِلَتْهُمُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

- الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا :

-الْكُفَّارُ يَنَالُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِسَبَبِ بَعْثَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، مِثْلُ نُزُولِ الْغَيْثِ ، وَالْأَمْنِ ، وَالرِّزْقِ الْوَاسِعِ .

- الرَّحْمَةُ فِي الْآخِرَةِ :

-الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ وَاسْتَقَامُوا عَلَى دِينِهِ ، لَهُمُ الرَّحْمَةُ الْأَكْمَلُ وَالْأَوْفَرُ فِي الْآخِرَةِ .



(٢) الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْسَ بِدْعًا :

-النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْسَ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ ، فَقَدْ سَبَقَهُ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ ، وَكُلُّهُمْ جَاءُوا بِالرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ .



(٣) الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ :

-إِرْسَالُ الرُّسُلِ فِيهِ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ ، حَيْثُ يَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَيُنْذِرُهُمْ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .



(٤) أَهَمِّيَّةُ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ :

-التَّمَسُّكُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ هُوَ سَبَبٌ لِنَيْلِ الرَّحْمَةِ ، لِأَنَّ الدِّينَ فِيهِ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَفِيهِ بَيَانٌ لِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .



(٥) الِاعْتِمَادُ عَلَى الْوَحْيِ :

-الْعُقُولُ قَاصِرَةٌ عَنْ إِدْرَاكِ كُلِّ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، لِذَلِكَ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ بِالْوَحْيِ ، لِأَنَّ الْوَحْيَ هُوَ مَصْدَرُ الْهُدَى .



(٦) التَّأَسِّي بِالرَّسُولِ :

-الِاقْتِدَاءُ بِالرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَخْلَاقِهِ وَسُلُوكِهِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا .

- وَمِنْ آكَدِ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ دَعْوَةٌ لِلسَّلَامِ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَخْتَارُ الْأَسْمَاءَ اللَّطِيفَةَ الْجَمِيلَةَ وَكَانَ مِمَّا يَكْرَهُ اسْمَ حَرْبٍ ، وَكَانَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُغَيِّرُ اسْمَ مَنْ اسْمُهُ حَرْبٌ إِلَى اسْمٍ آخَرَ أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ ، فَعَنْ هَانِئِ بْنِ هَانِئٍ ، عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ : { لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : أَرُونِي ابْنِي ، مَا سَمَّيْتُمُوهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : حَرْبًا ، قَالَ : بَلْ هُوَ حَسَنٌ ، فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : أَرُونِي ابْنِي ، مَا سَمَّيْتُمُوهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : حَرْبًا ، قَالَ : بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ ، فَلَمَّا وُلِدَ الثَّالِثُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا ، فَجَاءَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : أَرُونِي ابْنِي ، مَا سَمَّيْتُمُوهُ ؟ قُلْتُ : حَرْبًا ، قَالَ : بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ } ، ثُمَّ قَالَ : { سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمَاءِ وَلَدِ هَارُونَ : شَبَّرُ وَشَبِيرُ وَمُشَبِّرٌ } . (رَوَاهُ أَحْمَدُ:٧٦٩، والْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْنِ برقم:٣٥/١١ وقَالَ:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ،وَالْمُحسِنُ مَاتَ صَغِيرًا) .

- فَهَذِهِ هِيَ نَظَرَتُهُ لِلْحَرْبِ ، وَهَذِهِ هِيَ نَظَرَتُهُ لِلسِّلْمِ .

- أَلَا حَقًّا مَا أَرْحَمَهَا مِنْ نَظْرَةٍ ! وَإِذَا أَنْخَتْ بِطَرَفِ الْعَيْنِ نَحْوَ الْفُقَهَاءِ وَجَدْتَهُمْ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ مَسَائِلِ الْحُرُوبِ وَالسَّلَامِ ، يُعَنْوِنُونَ الْبَابَ (فِقْهُ السِّلْمِ وَالْحَرْبِ) بِتَقْدِيمِ السِّلْمِ عَلَى الْحَرْبِ لِأَنَّهُ أَصْلُ الرِّسَالَةِ ، وَلَا يَزَالُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ يُلْقُونَ بِالشُّبُهَاتِ عَلَيْهِ

، فَقَالُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ فَتَحَ بِالسَّيْفِ وَدِينُ الْقَتْلِ ، وَيَكْفِي دَحْضًا لِهَؤُلَاءِ أَنَّ الْمُتَتَبِعَ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِعَيْنِ الْفِكْرِ وَالتَّدَبُّرِ ، يَجِدُ أَنَّ لَفْظَ السِّلْمِ وَمُشْتَقَّاتِهِ وَرَدَ مِائَةً وَأَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً ، وَأَنَّ لَفْظَ الْحَرْبِ وَمَا اشْتَقَّ مِنْهُ وَرَدَ سِتَّ مَرَّاتٍ فَقَطْ ، فَإِنْ دَلَّ هَذَا فَإِنَّمَا يَدُلُّ وَيَعْكِسُ نَظْرَةَ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَنَظْرَةِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

-فَقَدْ مَكَثَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَتَعَرَّضُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِلتَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ وَالتَّهْجِيرِ إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْإِسْلَامُ يَنْتَشِرُ وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَيْفٌ ، وَبَعْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِعَامَيْنِ كَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى عِنْدَ بِئْرِ بَدْرٍ فِي الْمَدِينَةِ وَالْأَعْدَاءُ هُمْ مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ أَتَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَذَلِكَ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ وَالْأَحْزَابِ ، بَلْ عِنْدَمَا نَقَضُوا الْعَهْدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَامَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِفَتْحِ مَكَّةَ دَخَلَهَا بِغَيْرِ قِتَالٍ وَعَفَا عَنْ الْمُشْرِكِينَ فَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَالْإِسْلَامُ انْتَشَرَ بِالرَّحْمَةِ وَحُبِّهِ لِلسَّلَامِ وَكَانَ السَّيْفُ حَامِيًا حَتَّى لَا يَتَجَرَّأَ الْمُشْرِكُونَ الْمُحَارِبُونَ فَتَدَبَّرْ .

- بَلْ وَعَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْإِسْلَامِ بِالسِّلْمِ قَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً } . (الْبَقَرَةِ ٢٠٨) .

-وَالسِّلْمُ هُنَا هُوَ الْإِسْلَامُ ، بَلْ وَأَخْبَرَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ سَبِيلَ اللَّهِ وَدِينَهُ هُوَ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَى : { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } . (الْمَائِدَةِ ١٦) .
-أَيْ : يَهْدِي بِهِ مَنْ اجْتَهَدَ وَحَرَصَ عَلَى بُلُوغِ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَصَارَ قَصْدُهُ حَسَنًا - سُبُلَ السَّلَامِ الَّتِي تُسَلِّمُ صَاحِبَهَا مِنْ الْعَذَابِ ، وَتُوصِلُهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ ، إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا . { وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ } ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ ،

وَالْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ ، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَالطَّاعَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالذِّكْرِ . وَكُلُّ هَذِهِ الْهِدَايَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

-{ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } أَيْ : يُوَفِّقُهُمْ إِلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ .

-فَالْقُرْآنُ كِتَابُ هِدَايَةٍ ، وَسَبِيلُ سَلَامَةٍ مِنْ الْعَذَابِ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ سَلَكَ دَرْبَ رِضْوَانِ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

-فَفِي اتِّبَاعِ الْوَحْيِ سَلَامٌ مَعَ الْحَيَاةِ وَالْكَوْنِ ، سَلَامٌ لَا تَجِدُهُ الْبَشَرِيَّةُ إِلَّا فِي هَذَا الدِّينِ وَمُجْتَمَعِهِ الْقَائِمِ عَلَى عَقِيدَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ .

-فَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الشَّرِيعَةِ سُلُوكًا صَحِيحًا فَقَدْ سَلِمَ سَلَامَةً مُطْلَقَةً فِي عَقِيدَتِهِ وَحَيَاتِهِ وَجَزَائِهِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَسْلَكَ سَيُؤَدِّي بِهِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ الَّتِي يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا .

-وَالْجَاهِلِيَّةُ بَحْرٌ مِنْ الظُّلُمَاتِ الْمُتَرَاكِمَةِ ، فِيهَا تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ ، وَالْأَسَاطِيرِ وَالْخُرَافَاتِ ، وَالْحَيْرَةِ وَرَدِيءِ التَّصَوُّرَاتِ .

- لَقَدْ كَانَتْ رِسَالَةُ نَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَفِينَةَ النَّجَاةِ الَّتِي أَنْقَذَتْ الْعَالَمَ الْغَارِقَ فِي أَوْحَالِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَمَنْ اسْتَمَرَّ عَلَيْهَا إِلَى شَاطِئِ الْآخِرَةِ رَبِحَ السَّلَامَةَ الدَّائِمَةَ .

-يُنْجِي اللَّهُ مِنْ الْمَهَالِكِ ، وَيُوَضِّحُ أَبْيَنَ الْمَسَالِكِ ، وَيَنْفِي الضَّلَالَةَ ، وَيُرْشِدُ إِلَى أَقْوَمِ حَالَةٍ ، فَمَنْ رَغِبَ فِي هَذِهِ الْعَطَايَا الْجَزِيلَةِ فَلْيَطْلُبْهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

-وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . وَإِذَا تَطَرَّقْتَ عَلَى سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَقَبْتَ التَّارِيخَ وَدَرَسْتَ أَحْوَالَ السَّابِقِينَ لِتَعْلَمَ كَيْفَ رَسَّخَ الدِّينُ قَوَاعِدَ السَّلَامِ لِلْأُمَّةِ وَعَلَيْهِ كَانَ نَهْجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَحَسْبُهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } . (الْمُمْتَحِنَةِ : ٨) .

-أَيْ : لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الْبِرّ وَالصِلَةِ ، وَالْمُكَافَاةِ بِالْمَعْرُوفِ،وَالْقِسْطِ لِلْمُشْرِكِينَ ، مِنْ أَقَارِبِكُمْ وَغَيْرِهِمْ ، حَيْثُ كَانُوا بِحَالٍ لَمْ يَنْصِبُوا لِقِتَالِكُمْ فِي الدِّينِ وَالْإِخْرَاجِ مِنْ دِيَارِكُمْ ، فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَصِلُوهُمْ ، فَإِنَّ صِلَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ، لَا مَحْذُورَ فِيهَا وَلَا مَفْسَدَةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ الْأَبَوَيْنِ الْمُشْرِكَيْنِ إِذَا كَانَ وَلَدُهُمَا مُسْلِمًا : { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } .(لقمان:١٥).

-فَدَلَالَةُ الْآيَةِ وَاضِحَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدِ بَيَانٍ وَلَكِنْ لَنْ يُدْرِكَ الشَّمْسَ مَنْ بِهِ رَمَدٌ .



- وَفِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ تَدْعُو إِلَى السَّلَامِ وَتَنْهَى عَنْ التَّعَرُّضِ بِالْإِيذَاءِ لِمَنْ سَالَمْنَا مِنْ ذَلِكَ :

(١) مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (١٠) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - : { الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ } .

- شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَفِيهِ يُرْشِدُنَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى التَّحَلِّي بِالْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الَّتِي تَزِيدُ الْأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْمُسْلِمَ الْكَامِلَ الْجَامِعَ لِخِصَالِ الْإِسْلَامِ : هُوَ مَنْ لَمْ يُؤْذِ مُسْلِمًا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، وَخَصَّ اللِّسَانَ وَالْيَدَ ؛ لِكَثْرَةِ أَخْطَائِهِمَا وَأَضْرَارِهِمَا ؛ فَإِنَّ مُعْظَمَ الشُّرُورِ تَصْدُرُ عَنْهُمَا ؛ فَاللِّسَانُ يَكْذِبُ ، وَيَغْتَابُ ، وَيَسُبُّ ، وَيَشْهَدُ بِالزُّورِ ، وَالْيَدُ تَضْرِبُ ، وَتَقْتُلُ ، وَتَسْرِقُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَقَدَّمَ اللِّسَانَ ؛ لِأَنَّ الْإِيذَاءَ بِهِ أَكْثَرُ وَأَسْهَلُ ، وَأَشَدُّ نِكَايَةً ، وَيَعُمُّ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ جَمِيعًا .

-وَبَيَّنَ أَنَّ الْمُهَاجِرَ الْكَامِلَ هُوَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَالْمُهَاجِرُ الْمَمْدُوحُ هُوَ الَّذِي جَمَعَ إِلَى هِجْرَانِ وَطَنِهِ وَعَشِيرَتِهِ هِجْرَانَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ؛ فَمُجَرَّدُ هِجْرَةِ بَلَدِ الشِّرْكِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعَاصِي لَيْسَتْ بِهِجْرَةٍ تَامَّةٍ كَامِلَةٍ ؛ فَالْمُهَاجِرُ بِحَقٍّ هُوَ الَّذِي لَمْ يَقِفْ عِنْدَ الْهِجْرَةِ الظَّاهِرَةِ ، مِنْ تَرْكِ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْأَمْنِ ، بَلْ هُوَ مَنْ هَجَرَ كُلَّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

-وَفِي الْحَدِيثِ : الْحَثُّ عَلَى تَرْكِ أَذَى الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَا يُؤْذِي .

-وَفِيهِ : أَنَّ الظَّوَاهِرَ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا إِذَا لَمْ تُؤَيِّدْهَا الْأَعْمَالُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهَا .



(٢) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي مُسْنَدِهِ بِرَقْمِ (٢٤٠١٣) مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : { الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ } .

-وَفِي رِوَايَةٍ : { أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ وَبَلَدٌ حَرَامٌ فَدِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ وَهَذَا الْبَلَدِ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ وَحَتَّى دَفْعَةٌ دَفَعَهَا مُسْلِمٌ مُسْلِمًا يُرِيدُ بِهَا سُوءًا وَسَأُخْبِرُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى } .

- شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-خَطَبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُسْلِمِينَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ خُطْبَةً جَامِعَةً ، فَنَبَّهَ عَلَى أُصُولٍ مُهِمَّةٍ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، مِنْهَا حُرْمَةُ الدَّمِ وَالْمَالِ وَالْعِرْضِ .

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَهِيَ آخِرُ حَجَّةٍ حَجَّهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .
سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، وَاجْتَمَعَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِيَقْتَدُوا بِهِ ، { هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ وَبَلَدٌ حَرَامٌ } ، أَيْ : يَحْرُمُ فِيهِمَا فِعْلُ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمَا ، { فَدِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ وَهَذَا الْبَلَدِ ، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ } ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِلتَّحْرِيمِ وَتَغْلِيظٌ وَتَشْدِيدٌ فِي حُرْمَةِ التَّعَدِّي بِدُونِ وَجْهِ حَقٍّ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالدِّمَاءِ ، { وَحَتَّى دَفْعَةٌ دَفَعَهَا مُسْلِمٌ مُسْلِمًا يُرِيدُ بِهَا سُوءًا } ، أَيْ : حَتَّى الضَّرْبَةُ الْخَفِيفَةُ بِالْيَدِ إِذَا أَرَادَ بِهَا الدَّافِعُ وَالضَّارِبُ سُوءًا بِمُسْلِمٍ ، فَهِيَ مَمْنُوعَةٌ ، {

وَسَأُخْبِرُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمُ : مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ } ، أَيْ : إِنَّ الْمُسْلِمَ الْكَامِلَ الْجَامِعَ لِخِصَالِ الْإِسْلَامِ : هُوَ مَنْ لَمْ يُؤْذِ مُسْلِمًا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، وَخَصَّ اللِّسَانَ وَالْيَدَ ؛ لِكَثْرَةِ أَخْطَائِهِمَا وَأَضْرَارِهِمَا ؛ فَإِنَّ مُعْظَمَ الشُّرُورِ تَصْدُرُ عَنْهُمَا ؛ فَاللِّسَانُ يَكْذِبُ ، وَيَغْتَابُ ، وَيَسُبُّ ، وَيَشْهَدُ بِالزُّورِ ، وَالْيَدُ تَضْرِبُ ، وَتَقْتُلُ ، وَتَسْرِقُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَقَدَّمَ اللِّسَانَ ؛ لِأَنَّ الْإِيذَاءَ بِهِ أَكْثَرُ وَأَسْهَلُ ، وَأَشَدُّ نِكَايَةً ، وَيَعُمُّ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ جَمِيعًا ، { وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ } ، أَيْ : الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ الَّذِي تَحَقَّقَتْ فِيهِ صِفَةُ الْإِيمَانِ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُهُ ، هُوَ مَنْ يَأْمَنُه النَّاسُ ، وَلَا يَخَافُونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ؛ فَلَا يَقْتُلُ ، وَلَا يَسْرِقُ ، وَلَا يَنْهَبُ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْإِشَارَةَ إِلَى الْحَثِّ عَلَى حُسْنِ مُعَامَلَةِ الْعَبْدِ مَعَ رَبِّهِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَحْسَنَ مُعَامَلَةَ إِخْوَانِهِ ، فَأَوْلَى أَنْ يُحْسِنَ مُعَامَلَةَ رَبِّهِ ، مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى .

-{ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ } ، أَيْ : الْمُهَاجِرُ الْكَامِلُ هُوَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَالْمُهَاجِرُ الْمَمْدُوحُ : هُوَ الَّذِي جَمَعَ إِلَى هِجْرَانِ وَطَنِهِ وَعَشِيرَتِهِ هِجْرَانَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَمُجَرَّدُ هِجْرَةِ بَلَدِ الشِّرْكِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعَاصِي لَيْسَتْ بِهِجْرَةٍ تَامَّةٍ كَامِلَةٍ ؛ فَالْمُهَاجِرُ بِحَقٍّ هُوَ الَّذِي لَمْ يَقِفْ عِنْدَ الْهِجْرَةِ الظَّاهِرَةِ ؛ مِنْ تَرْكِ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْأَمْنِ ، بَلْ هُوَ مَنْ هَجَرَ كُلَّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، { وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى } ، أَيْ : الْمُجَاهِدُ لَيْسَ مَنْ قَاتَلَ الْكُفَّارَ فَقَطْ ، بَلِ الْمُجَاهِدُ مَنْ حَارَبَ نَفْسَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ نَفْسَ الرَّجُلِ أَشَدُّ عَدَاوَةً مَعَهُ مِنَ الْكُفَّارِ ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ بَعِيدُونَ مِنْهُ ، وَأَمَّا نَفْسُهُ فَتُلَازِمُهُ ، وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ .



(٣) وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ

(٦٠١٨)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٤٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيْفَهُ، مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُت }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-يُرشِدُنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى التَّحَلِّي بِالْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي تَزِيدُ الْأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيُخْبِرُ أَنَّ مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ إِيمَانًا كَامِلًا، وَيُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الَّذِي إِلَيْهِ مَعَادُهُ وَفِيهِ مُجَازَاتُهُ بِعَمَلِهِ؛ فَلَا يُؤذِ جَارَهُ، بَلْ يُكْرِمُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَاللُّطْفِ فِي مُعَامَلَتِهِ.

وَأَنَّ مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَه، وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ يَكُونُ بِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَطِيبِ الْكَلَامِ، وَالْإِطْعَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، بِمَا حَضَرَهُ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ؛لِئَلَّا يُثْقِلَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَفْسِهِ،وَبَعْدَ الثَّلَاثَةِ يُعَدُّ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَمِنَ الضُّيُوفِ مَنْ يَكُونُ حَقُّهُ أَوْلَى، كَالضَّيْفِ الْمُسَافِرِ، وَهُوَ الْقَادِمُ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ، فَحَقُّهُ وَإِكْرَامُهُ أَوْلَى مِنَ الزَّائِرِ مِنَ الْبَلَدِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ قَادِمًا مِنَ السَّفَرِ.وَأَنَّ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا،أَوْ لِيَصْمُتْ،أَيْ:يَلْتَزِمِ السُّكُوتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلَ الْخَيْرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْأَصْلِ مَأْمُورٌ بِقَوْلِ الْخَيْرِ دَوْمًا، وَإِنَّمَا نَبَّهَ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ آفَاتِ اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلْيَتَفَكَّرْ قَبْلَ كَلَامِهِ؛ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ وَلَا يَجُرُّ إِلَى مُحَرَّمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا فَالسَّلَامَةُ فِي السُّكُوتِ؛ لِئَلَّا يَجُرَّ الْمُبَاحُ إِلَى مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ.وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَوْمَ الْآخِرَ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ؛ لِلتَّرْغِيبِ فِي تَحْصِيلِ الثَّوَابِ وَالنَّجَاةِ فِيهِ مِنَ الْعِقَابِ.



(٤) وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٠١٦)مِنْ حَدِيثِ أبِي شُرَيْح الْعَدَوِيِّ خُوَيْلِد بْنِ عَمْرُو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ }.،وَفِي رِوَايَةٍ:{ وَاللَّهِ لَا يُؤمِنُ،وَاللَّهِ لَا يُؤمِنُ،وَاللَّهِ لَا يُؤمِنُ قِيلَ:مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : الَّذِي لَا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ : شَرُّهُ }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-يُوصِينَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-دَائِمًا بِالْإحْسَانِ إلَى الْجَارِ وَمُعَامَلَتِهِ مُعَامَلَةً طَيِّبَةً، وَالْبُعْدِ عَنْ إيذائِهِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُقْسِمُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَاللَّهِ لَا يُؤمِنُ،وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ }، أيْ: إيمَانًا كَامِلًا، وَكَرَّرَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ثَلَاثًا للتَّحْذِيرِ الشَّدِيدِ، فَسَألَهُ الْحَاضِرُون: وَمَنِ الَّذِي لَا يُؤمِنُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { الَّذِي لَا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ }، وَالْبَوَايِقُ وَالْبَوَائِقُ:جَمْعُ بائِقَةٍ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ وَالْبَلِيَّةُ، وَالْفَتْكُ وَالشُّرُور، وَالظُّلْمُ وَالْجَوْرُ وَالتَّعدّي، وَالْمُرَادُ: أنَّ الْمُؤمِنَ لَا يَبْلُغُ الْإيمَانَ الْكَامِلَ حَتَّى يَمْنَعَ أذَاهُ وَضَرَرَهُ عَنْ جَارِهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ:التَّشْدِيدُ فِي حِفْظِ الْجَارِ مِنَ الْأذَى وَالضَّرَرِ.-وَفِيهِ: أنَّ أمَانَ الْجَارِ مِنْ كَمَالِ الْإيمَانِ، وَبُلُوغِ أعْلَى دَرَجَاتِهِ.



(٥) وَأخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الْإمَارَةِ بَاب وُجُوبِ الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأوَّلِ فَالْأوَّلِ بِرَقَمِ(١٨٤٤)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ-

رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ:

{ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ :

سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي فَقُلْتُ لَهُ :هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا }قَالَ:فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ:أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ}.

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ فمَنْ أحَبَّ مِنْكُمْ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ }، أيْ: لَا يَرْجُو دُخُولَهَا،{ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ }،أيْ: وَأرَادَ أنْ يُدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ،{ فَلْتَأتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أنْ يُؤتَى إلَيْهِ }، أيْ: فَلْيُؤدِّ إلَيْهِمْ، وَيَفْعَلْ بِهِمْ مَا يُحِبُّ أنْ يُفْعَلَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَلْيَأتِ إلَى النَّاسِ بِحُقُوقِهِمْ مِنَ النُّصْحِ وَالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ بِمِثْلِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُجَاءَ إلَيْهِ بِهِ،وَفِي ذَلِكَ أمْرٌ بِبَذْلِ الْخَيْرِ للنَّاسِ وَنَهْيٌ عَنِ الشَّرِّ وَإِلْحَاقِ الْأذَى بِهِمْ.



(٦) وَأخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-أيْضًا فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيم ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ واحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ بِرَقَمِ(٢٥٦٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-نَهَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، وَمِنْهَا- كَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ-: الْحَسَدُ؛ فَأمَرَ بِألَّا يَحْسُدَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَالْحَسَدُ هُوَ كَرَاهِيَةُ النِّعْمَةِ عَلَى أخِيهِ فَإنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ وَوَقَعَ فِي الْجَوْرِ تَمَنَّى زوالِ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ، وَهُوَ اعْتِرَاضٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى لَهُ حَيْثُ أنْعَمَ عَلَى غَيْرِهِ مَعَ مُحَاوَلَتِهِ نَقْضَ فِعْلِهِ وَإزَالَةِ فَضْلِهِ، وَمِنْهَا: النَّجْشُ: فَأمَرَ بِألَّا يَنْجُشَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، وَهُوَ أنْ يَزِيدَ فِي السِّلْعةِ لَا لِرَغْبَةٍ فِيهَا بَلْ؛ لِيَخْدَعَ غَيْرَهُ لِيَشْتَرِيهَا بِسِعْرٍ زَائِدٍ، سَوَاءٌ كَانَ بِمُوَاطَأةِ الْبَائِعِ أمْ لَا؛ لأنَّهُ غِشٌّ وَخِدَاعٌ. وَمِنْهَا: التَّبَاغُضُ: فَأمَرَ ألَّا يَبْغَضَ بَعْضُنَا بَعْضًا، أيْ:

لا يَتَعَاطَى الرَّجَلُ أسْبَابَ الْبُغْضِ؛ لأنَّهُ قَهْرِيٌّ كَالحُبِّ لَا قُدْرَةَ لِلإنْسَانِ عَلَى اكْتِسَابِهِ وَلَا يَمْلِكُ التَّصرُّفَ فِيهِ، وَهُوَ النُّفْرَةُ عَنِ الشَّيءِ لِمَعْنًى فِيهِ مُسْتَقْبَحٍ وَتُرَادِفُهُ الْكَرَاهَةُ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، إمَّا مِنْ جَانِبَيهِمَا أوْ مِنْ جَانِبِ أحَدِهِمَا، وَعَلَى كُلٍّ فَهُوَ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى مَنْهِيٌّ عَنْهُ. وَمِنْهَا: التَّدَابُرُ: فَأمَرَ ألَّا يُدبِرَ بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ، أيْ: يُعرِضُ عَمَّا

يَجِبُ لَهُ مِنْ حُقُوقِ الْإِسْلَامِ كَالْإِعَانَةِ وَالنَّصْرِ، وَعَدَمِ الْهُجَرَانِ فِي الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا لِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ. وَمِنْهَا: الْبَيْعُ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ:فَأَمَرَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِأَلَّا يَبِيعَ بَعْضُنَا عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ؛ فَلَا يَجُوزُ لأحدٍ بِغَيْرِ إِذْنِ الْبَائِعِ أَنْ يَقُولَ لِمُشْتَرِي سِلْعَةٍ فِي زَمَنِ الْخِيَارِ: افْسَخْ هَذَا الْبَيْعَ وَأَنَا أَبِيعُكَ مِثْلَهُ بِأَرْخَصَ مِنْ ثَمَنِهِ أَوْ أَجْوَدَ مِنْهُ بِثَمَنِه؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ الْمُوجبِ لِلتَّنافُرِ وَالبُغْضِ. ثُمَّ يَأمُرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَكُونَ عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَنَأْخُذَ بِأَسْبَابِ كُلِّ مَا يُوَصِّلُنَا لِمِثْلِ هَذَا مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرِّفْقِ وَالشَّفَقَةِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاوُنِ فِي الْخَيْرِ مَعَ صَفَاءِ الْقَلْبِ وَالنَّصِيحَةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَيقُولُ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، أَيْ: الأُخُوَّةُ الدِّينِيَّةُ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الْأُخُوَّةِ النَّسَبِيَّةِ؛ لأنَّ ثَمَرةَ هَذِهِ دُنْيَوِيَّةٌ وَثَمَرَةَ تِلْكَ أُخْرَوِيَّةٌ، {لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ}، أَيْ: وَلَا يَتْرُكُ إِعَانَتَهُ وَنَصْرَهُ،{وَلَا يَحْقِرُهُ}، أَيْ: لَا يَسْتَصْغِرُ شَأْنَهُ وَيَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ؛ فَالاحْتِقَارُ نَاشِئٌ عَنِ الْكِبْرِ فَهُوَ بِذَلِكَ يَحْتَقِرُ غَيْرَهُ وَيَرَاهُ بِعَيْنِ النَّقْصِ، وَلَا يَرَاهُ أَهْلًا لأنْ يَقُومَ بِحَقِّهِ.

{التَّقوى هَاهنا} التَّقْوَى هِيَ اجْتِنَابُ عَذَابِ اللهِ بِفِعْلِ الْمَأمُورِ وَترْكِ الْمَحْظُورِ، وَأشَارَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِه إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أيْ: مَحِلّ مَادَّتِهَا مِنَ الخوْفِ الْحَاصِلِ عَلَيْهَا الْقلبُ، الَّذِي هُوَ عِنْدَ الصَّدْرِ.

{ بِحَسْبِ امْرِئٍ }، أَيْ: يَكْفِي الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّرِّ؛ وَذَلِكَ لِعِظَمِهِ فِي الشَّرِّ، كَافٍ لَهُ عَنِ اكْتِسَابٍ آخَرَ؛{ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلمَ }.

{ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ }؛فَلَا يَقْتُلُ مُسْلِمٌ مُسْلِمًا أَوْ يَسْرِقُهُ أَوْ يَزْنِي بِحَرِيمِهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: تَحْرِيمُ دَمِ الْمُسْلِمِ وَمَالِهِ، وَعِرْضِهِ ، وَتَحْرِيمُ خِذْلَانِهِ وَخِيَانَتِهِ وَاحْتِقَارِهِ.
-وَفِيهِ: أَنَّ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ.



(٧) بَلْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى تَحْقِيقِ السَّلَامِ فِي الطُّرُقَاتِ فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الاسْتِئذَانِ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى يَأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أهْلِهَا بِرَقَمِ

(٥٨٧٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ .{

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-لَا يَحِلُّ إيذاءُ المُسْلِمِ وَإلْحَاقُ الضَّرَرِ بِهِ، صَغِيرًا كَانَ أوْ كَبِيرًا، وَقَدْ رَاعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ حُقُوقَ الْجَمِيعِ وَمَصَالِحَهُمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُحَذِّرُ النَّبيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى الطُّرُقَاتِ؛ عَلَى الْمَسَاطِبِ أوِ الْأرائِكِ، أوْ الْكَرَاسِيِّ أوِ الْفُرُشِ؛ لأنَّ الْجُلوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ يُؤدِّي -فِي الْأغْلَبِ- إلَى أذِيَّةِ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِإحْرَاجِهِمْ بِمُلَاحَقَتِهِمْ بالنَّظَرَاتِ، أوْ تَضْيِيقِ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمِ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلأنَّ الْجَالِسَ فِي الطَّرِيقِ قَدْ يَتَعَرَّضُ للفِتْنَةِ، أوْ يُعَرِّضُ غَيْرَهُ لَهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ، فَلَمَّا قَالُوا للرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{مَا لَنَا بُدٌّ مِنْهَا}، أيْ:

لَا غِنَى لَنَا عَنْهَا؛ لأنَّهَا مُجْتَمَعَاتُنَا وَأنْدِيَتُنَا الَّتِي نَتَحَدَّثُ فِيهَا بِشُؤونِنَا، ونَتذاكَرُ فِي مَصالِحِنا مِن أُمورِ الدِّينِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا، وَنُرَوِّحُ عَنْ نُفُوسِنَا بِالْمُحَادَثَةِ فِي المُبَاحِ، وَيُسَرِّي بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ؛ فَتَرْكُهَا يَشُقُّ عَلَيْنَا، وَكَأنَّهُمْ فَهِمُوا مِنْ كَلَامِهِ- صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ للتَّحْذِيرِ، وَلَيْسَ للنَّهْيِ الصَّريحِ، أَوْ أَنَّ النَّهيَ للتَّنْزِيهِ، وَلَا يُرَادُ بِهِ التَّحْرِيمُ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْهَدُوا مِنَ الرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْرِيمَ نَافِعٍ، وَلَا إبَاحَةَ ضارٍّ، أَوْ أَنَّ النَّهيَ لمَعْنًى مُتَّصِلٍ بِالْمَجَالِسِ، لَا لِنَفْسِهَا وَذَاتِهَا، وَقَدْ يُمْكِنُهُمْ مُجَانَبَةُ هَذا الْمَعْنَى الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ كَانَ النَّهْيُ، وَإِلَّا فَإِنَّ الصَّحَابةَ- رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ- أَسْرَعُ النَّاسِ إجَابَةً لأَوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُراجَعَتُهُمْ للنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتِفْسَارًا عَلَى مَا فَهِمُوهُ مِنْهُ، وَلَيْسَ مُعَارَضَةً لَهُ -حَاشَاهُمْ-، وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ النَّهْيَ عَزْمَةٌ مِنَ الْعَزَمَاتِ مَا رَاجَعُوهُ، وَلَبَادَرُوا إلَى الامْتِثَالِ مُبَاشَرَةً، فَأَجَابَهُمُ النَّبيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِمَا يدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّهْيَ لَيْسَ لِذَاتِ الْمَجَالِسِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَجْلِ حُقُوقِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْجَالِسُ؛ فَقَالَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
{ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا } تَأكِيدًا لِمَا للطَّرِيقِ مِنْ آدَابٍ وحُقُوقٍ، فَسَأَلُوهُ سُؤالَ الْمُسْتَرْشِدِ عَنْ حَقِّهَا، فَأَجَابَهُمْ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقولِهِ:{ غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ،وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ،وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ }.

-وَغَضُّ البَصَرِ: يَكُونُ بِكَفِّهِ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إلَيْهِ، وَكَفِّهِ عَنْ كُلِّ مَا تُخْشَى الْفِتْنَةُ مِنْهُ؛ فَلَا يَنْظُرُ إلَى مَا لَا يَجُوزُ لَهُ النَّظَرُ إلَيْهِ، كَالنَّظرِ إلَى النِّسَاءِ،وَأَشَارَ بغَضِّ البَصَرِ إلَى السَّلَامَةِ مِنَ التَّعرُّضِ للفِتْنَةِ بِمَنْ يَمُرُّ مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِهِنَّ، وَخَوْفِ مَا يَلْحَقُ مِنَ النَّظَرِ إلَيْهِنَّ إذَا مَرَّ النِّسَاءُ فِي الشَّوَارِعِ لِحَوَائِجِهِنَّ.

-وَكَفُّ الْأَذَى: يَكُونُ بِعَدَمِ أذِيَّةِ الْعِبَادِ بِالْقَوْلِ أَوْ بالْفِعْلِ؛ بِاللِّسَانِ أَوْ اليَدِ؛ فَلَا يَشْتُمُ، وَلَا يَسُبُّ، وَلَا يَحْتَقِرُ، وَلَا يَعِيبُ، وَلَا يَغْتَابُ، وَلَا يَضْرِبُ أَحَدًا بِالْيَدِ أَوِ الْعَصَا مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ اجْتَرَمَهُ، وَلَا ذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ، وَلَا يَسْلُبُ شَيْئًا مِمَّا يَحْمِلُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطِيبَ بِهِ نَفْسُهُ، وَلَا يُرِيقُ الْمَاءَ فِي الطَّرِيقِ؛ لِئَلَّا تَزِلَّ بِهِ الْأَقْدَامُ، وَلَا يَضَعُ عَقَبَاتٍ يَعْثُرُ فِيهَا المُشَاةُ، وَلَا يُلْقِي قَاذُورَاتٍ أَوْ أَشْوَاكًا تَضُرُّ الْمَارَّةَ، وَلَا يُضَيِّقُ الطَّرِيقَ بِمَجْلِسِهِ أَوْ قُعُودِهِ حَيْثُ يَتأَذَّى الْجِيرَانُ، فَيَكْشِفُ نِسَاءَهُمْ، وَيُقيِّدُ عَلَيْهِمْ حُرِّيَّتَهُمْ، وَقَدْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إلَى امْتِنَاعِ النِّسَاءِ مِنَ الْخُرُوجِ إلَى مَصَالِحِهِنَّ بِسَبَبِ قُعُودِهِمْ فِي الطَّرِيقِ، وَالاطِّلَاعِ عَلَى أَحْوَالِ

النَّاسِ مِمَّا يَكْرَهُونَهُ، كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأذَى الَّذِي يَجِبُ كَفُّهُ وَإبْعَادُهُ عَنِ الْمَارَّةِ، بَلْ يَشْمَلُ هَذَا كَفَّ الْأذَى عَنِ الْحَيَوَانَاتِ كَذَلِكَ.

-وَرَدُّ السَّلَامِ:وَهَذَا وَاجبٌ،وَفِيهِ إكْرَامٌ للمَارِّ -وَهُوَ الَّذِي يَبْتَدِئُ بِالسَّلَامِ عَلَى الْجَالِسِ- وَالسَّلَامُ وَرَدُّهُ رَسُولُ الْأُلْفَةِ وَدَاعِيَةُ الْمَحَبَّةِ؛ فَعَلَى الْجَالِسِ أَلَّا يَسْأَمَ كَثْرَتَهُ مِنَ الْمَارِّينَ؛ فَإنَّ الْمَارَّ يَتَحَبَّبُ بِهِ إلَى الْجَالِسِ وَيُحَيِّيهِ وَيُكْرِمُهُ؛ فَعَلَى الْجَالِسِ أنْ يَرُدَّ السَّلَامَ وَالتَّحِيَّةَ بِمِثْلِهَا أوْ أحْسَنَ مِنْهَا، وَيَوَدُّ مَنْ وَادَّهُ، وَيُكْرِمُ مَنْ أكْرَمَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}.(النِّساء: ٨٦).

-وَالْأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ: يَكُونُ بِاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ مَا يُشْرَعُ، وَتَرْكِ جَمِيعِ مَا لَا يُشْرَعُ؛ لَكِنْ بِحَيْثُ لَا يَتَعَدَّى إلَى الْأمْرِ الْأنْكَرِ، حَتَّى إنْ ظَنَّ أنَّ ذَلِكَ لَا يُفِيدُ، فَإذَا حَصَلَ أمْرٌ يَقْتَضِي أنْ يُوَجِّهَ إلَى خَيْرٍ، وَأنْ يُبَصِّرَ بِحَقٍّ؛ فَإنَّهُ يَأمُرُ بِالْمَعرُوفِ، وَكَذَلِكَ إذَا رَأَى أمْرًا مُنْكَرًا، فَإنَّه يُنَبِّهُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ الْمُنْكَرُ عَلَى ذَلِكَ، وَيُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُخَوِّفُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ فِي كُلِّ ذَلِكَ أنْ يَأمُرَ بِالْمَعْرُوفِ بِأُسْلُوبٍ حَسَنٍ، وَيَنهَى عَنِ المُنكَرِ بِغَيْرِ مُنْكَرٍ؛ فَإذَا رَأى مُتَشَاجِرَيْنِ أوْ مُتَقَاتِلَيْنِ فَعَلَيْهِ أنْ يَأمُرَهُمَا بِالْكَفِّ عَنْ هَذَا، وَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَإذَا رَأى شَابًّا يُلَاحِقُ فَتَاةً وَيَعْتَرِضُهَا فِي طَرِيقِهَا، فَلْيَنْصَحْ لَهُ، وَيَدْفَعْهُ عَنْ هَذَا بِمَا اسْتَطَاعَ فِي غَيْرِ تَهَوُّرٍ وَلَا إضْرَارٍ، وَهَكَذَا، وَعَلَيْهِ أنْ يُحَقِّقَ أَوْلَى المَصَالِحِ وَأهَمَّهَا، وَلْيَعْلَمْ أنَّ دَفْعَ الْمَفْسَدَةِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَأنَّ الْمَفْسَدَةَ الصُّغْرَى تُحْتَمَلُ فِي جَانِبِ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ الْعُظْمَى.

-فَهَذِهِ جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ آدَابِ الطَّرِيقِ، وَأيْضًا يَدْخُلُ ضِمْنَ هَذِه الْآدَابِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: حُسْنُ الْكَلَامِ، وَإرْشَادُ ابْنِ السَّبِيلِ، وَإغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَهِدَايَةُ الضَّالِّ وَإرْشَادُهُ ، وَإعَانَةُ الْمَظْلُومِ، وَالْمُعَاوَنةُ عَلَى حَمْلِ الْأغْرَاضِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ نَدْبٌ إِلَى حُسْنِ مُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ لبَعْضٍ؛ فَإِنَّ الْجَالِسَ عَلَى الطَّرِيقِ يَمُرُّ بِهِ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، وَيَحْصُلُ بَيْنَهُمْ مُعَامَلَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ فَعَلَيهِ بحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ فِي كُلِّ هَذَا.



(٨) وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الدّيات بَاب إِثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ برَقَمِ(٦٥١٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:{ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-أمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، فَقَالَ: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا }.

(النَّحل: ٩١)،وَلِأجْلِ ذَلِكَ تَوَعَّدَ النَّبيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا -وَهُوَ مَنْ يَدْخُلُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ بِأمَانٍ- بِأنَّهُ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، أيْ: لَا يَشَمَّ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا يَكُونُ عَلَى بُعْدِ مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عَامًا، وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيث أبِي هُرَيْرَةَ: أنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا. ورُوِيَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَجُمِعَ بِأنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ اختِلافِ الْأشْخَاصِ وَالْأعْمَالِ، وَتَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ، فَيُدْرِكُهَا مَنْ شَاءَ اللهُ لَهُ مِنْ مَسِيرةِ أَلْفِ عَامٍ، وَمَنْ شَاءَ مِنْ مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عَامًا، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْكُلِّ طُولَ الْمَسَافَةِ وَبُعْدَهَا، لَا تَحْدِيدَهَا.

-وَفِي الْحَدِيثِ:التَّحْذِيرُ مِنْ خِيَانَةِ الْعُهُودِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.

-وَفِيهِ: أنَّ الْجَنَّةَ تَكُونُ لِلأَوْفِيَاءِ وَغَيْرِ الْغَادِرِينَ.
- وَالْجِهَادُ فِي التَّشْرِيعِ يُلْزِمُ الْمُجَاهِدِينَ أَخْلَاقًا يَراقِبُونَ بِهَا اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى فِي حَالِ قِتَالِهِمْ قَالَ تَعَالَى : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } . (الْبَقَرَة ١٩٠) .

-هَذِهِ الْآيَةُ تَتَضَمَّنُ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَهَذَا كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، لَمَّا قَوِيَ الْمُسْلِمُونَ لِلْقِتَالِ ، أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، بَعْدَ مَا كَانُوا مَأْمُورِينَ بِكَفِّ أَيْدِيهِمْ ، وَفِي تَخْصِيصِ الْقِتَالِ { فِي سَبِيلِ اللَّهِ } حَثٌّ عَلَى الْإِخْلَاصِ ، وَنَهْيٌ عَنْ الاقْتِتَالِ فِي الْفِتَنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

-{ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } أَيْ : الَّذِينَ هُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِقِتَالِكُمْ ، وَهُمُ الْمُكَلَّفُونَ الرِّجَالُ ، غَيْرُ الشُّيُوخِ الَّذِينَ لَا رَأْيَ لَهُمْ وَلَا قِتَالَ .

-وَالنَّهْيُ عَنِ الاعْتِدَاءِ يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الاعْتِدَاءِ كُلَّهَا ، مِنْ قَتْلِ مَنْ لَا يُقَاتِلُ ، مِنْ النِّسَاءِ ، وَالْمَجَانِينِ وَالْأَطْفَالِ ، وَالرُّهْبَانِ وَنَحْوِهِمْ وَالتَّمْثِيلِ بِالْقَتْلَى ، وَقَتْلِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَقَطْعِ الْأَشْجَارِ وَنَحْوِهَا ، لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ تَعُودُ لِلْمُسْلِمِينَ .

-وَمِنَ الاعْتِدَاءِ ، مُقَاتَلَةُ مَنْ تَقَبَّلَ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ إِذَا بَذَلُوهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ .

- فَوَائِدُ مِنْ الْآيَةِ :
(١) الْأَمْرُ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَهُوَ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَدَفْعِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ .

(٢) تَحْدِيدُ نِطَاقِ الْقِتَالِ بِـ { الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ الْقِتَالَ يَكُونُ دِفَاعِيًّا فِي الْأَصْلِ ، وَلَيْسَ اعْتِدَاءً .

(٣) وُجُوبُ الْإِخْلَاصِ فِي الْقِتَالِ ، وَأَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ لِأَغْرَاضٍ شَخْصِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ .

(٤) وُجُوبُ الِاسْتِعْدَادِ وَالتَّهَيُّؤِ لِلْقِتَالِ لِمَنْ يُقَاتِلُونَ الْمُسْلِمِينَ ، لِرَدْعِهِمْ وَحِمَايَةِ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ .

(٥) أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا يَجْرِي فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِ الْمُقَاتِلِينَ مِنْ إِخْلَاصٍ أَوْ غَيْرِهِ .

- وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ : أَنَّ السَّلَامَ هُوَ الْأَصْلُ فِي عَلَاقَةِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ الْجِهَادَ (الْحَرْبَ) شُرِعَ لِأَجْلِ الْحِفَاظِ عَلَى السَّلَامِ مِنْ اعْتِدَاءِ الظَّالِمِينَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، وَلِهَذَا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَسَطًا ، فَلَمْ يَجْعَلِ الْحَرْبَ أَصْلًا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا مَا دِينَ ذُلٍّ وَهَوَانٍ ، بَلْ دِينَ قُوَّةٍ وَعِزَّةٍ ، قَالَ تَعَالَى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } . (الْحَدِيدِ : ٢٥) .

-يَقُولُ تَعَالَى:{ لَقَدْ أَرسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ } وَهِيَ الْأَدِلَّةُ وَالشَّوَاهِدُ وَالْعَلَامَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءُوا بِهِ وَحَقِيقَتِهِ .
-{ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ } وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ سَائِرَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ لِهَدَايَةِ الْخَلْقِ وَإِرْشَادِهِمْ ، إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، { وَالْمِيزَانَ } وَهُوَ الْعَدْلُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَالدِّينُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، كُلُّهُ عَدْلٌ وَقِسْطٌ فِي الْأَوَامِرِ

وَالنَّوَاهِي وَفِي مُعَامَلَاتِ الْخَلْقِ ، وَفِي الْجِنَايَاتِ وَالْقِصَاصِ وَالْحُدُودِ وَالْمَوَارِيثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ { لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } قِيَامًا بِدِينِ اللَّهِ ، وَتَحْصِيلًا لِمَصَالِحِهِمْ الَّتِي لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا وَعَدُّهَا ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ مُتَّفِقُونَ فِي قَاعِدَةِ الشَّرْعِ . وَهُوَ الْقِيَامُ بِالْقِسْطِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُ الْعَدْلِ ، بِحَسَبِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَحْوَالِ ، { وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ ، كَالسِّلَاحِ وَالدُّرُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

-{ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ } وَهُوَ مَا يَشَاهَدُ مِنْ نَفْعِهِ فِي أَنْوَاعِ الصِّنَاعَاتِ وَالْحِرَفِ ، وَالْأَوَانِي وَآلَاتِ الْحَرْثِ ، حَتَّى إِنَّهُ قَلَّ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الْحَدِيدِ .

-{ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ } أَيْ : لِيُقِيمَ تَعَالَى سُوقَ الِامْتِحَانِ بِمَا أَنْزَلَهُ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحَدِيدِ ، فَيَتَبَيَّنُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَنْصُرُ رُسُلَهُ فِي حَالِ الْغَيْبِ ، الَّتِي يَنْفَعُ فِيهَا الْإِيمَانُ قَبْلَ الشَّهَادَةِ ، الَّتِي لَا فَائِدَةَ بِوُجُودِ الْإِيمَانِ فِيهَا ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ ضَرُورِيًّا .

-{ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } أَيْ : لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ ، وَمِنْ قُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ أَنَّ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ الَّذِي مِنْهُ الْآلَاتُ الْقَوِيَّةُ ، وَمِنْ قُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الِانْتِصَارِ مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ يُبْتَلِي أَوْلِيَاءَهُ بِأَعْدَائِهِ ، لِيَعْلَمَ مَنْ يَنْصُرُهُ بِالْغَيْبِ ، وَقَرَنَ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بَيْنَ الْكِتَابِ وَالْحَدِيدِ ، لِأَنَّ بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَنْصُرُ اللَّهُ دِينَهُ ، وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ الْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ وَالسَّيْفُ النَّاصِرُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَكِلَاهُمَا قِيَامُهُ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ ، الَّذِي يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى حِكْمَةِ الْبَارِي وَكَمَالِهِ ، وَكَمَالِ شَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ .

- فَوَائِدُ مِنْ الْآيَةِ :

(١) أَهَمِّيَّةُ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ :

-الْآيَةُ تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الْإيمَانَ بِالْغَيْبِ هُوَ أَسَاسُ النُّصْرَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ ، فَالْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَرَوْا النُّصْرَةَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ إِيمَانِهِمْ وَصِدْقِهِمْ .

(٢) عِلْمُ اللَّهِ الشَّامِلُ :

-الْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ يَنْصُرُهُ فِي الْخَفَاءِ وَمَنْ يُظْهِرُ النُّصْرَةَ وَهُوَ كَاذِبٌ . فَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ .

(٣) تَحْفِيزُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى النُّصْرَةِ :

-الْآيَةُ تُحَفِّزُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نُصْرَةِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا . هَذِهِ النُّصْرَةُ تَشْمَلُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِنَشْرِ الدِّينِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ أَوِ الْفِعْلِ أَوِ الْمَالِ .

(٤) التَّمْيِيزُ بَيْنَ الصَّادِقِينَ وَالْكَاذِبِينَ :

-الْآيَةُ تُظْهِرُ أَنَّ اللَّهَ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ يَنْصُرُهُ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَبَيْنَ مَنْ يَدَّعِي النُّصْرَةَ وَهُوَ كَاذِبٌ . فَالنُّصْرَةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَكُونُ مِنْ قَلْبٍ سَلِيمٍ وَعَمَلٍ خَالِصٍ لِلَّهِ تَعَالَى .

(٥) بَيَانُ سُنَّةِ اللَّهِ فِي النَّصْرِ :

-الْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى سُنَّةِ اللَّهِ فِي النَّصْرِ ، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَخْذُلُ مَنْ يَخْذُلُهُ . فَمَنْ نَصَرَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ ، نَصَرَهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ وَأَعَانَهُ .

- أَمْثِلَةٌ عَلَى نُصْرَةِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ بِالْغَيْبِ :

•نُصْرَةُ الْمُسْتَضْعَفِينَ :

-نُصْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلِاضْطِهَادِ بِسَبَبِ دِينِهِمْ ، كَأَهْلِنَا فِي غَزَّةَ أَرْضِ الْعِزَّةِ الْيَوْمَ ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِالدَّعْمِ الْمَادِيِّ أَوِ الْمَعْنَوِيِّ أَوِ الدُّعَاءِ لَهُمْ .

- الدِّفَاعُ عَنْ الدِّينِ :

-الدِّفَاعُ عَنْ الْإسْلَامِ وَعَقَائِدِهِ وَشَرِيعَتِهِ ، مِنْ خِلَالِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَالرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ وَالِافْتِرَاءَاتِ .

- نَشْرُ الْعِلْمِ :

-نَشْرُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَالْمَعَارِفِ النَّافِعَةِ ، وَتَعْلِيمُ النَّاسِ أُمُورَ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ .

- التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ :

ذ-تَعَلُّمُ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالْعَمَلُ بِهَا ، وَالِاجْتِهَادُ فِي فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

•اللَّهُمَّ يَا بَارِئَ البَرِيَّاتِ ، وَغَافِرَ الخَطِيَّاتِ ، وَعَالِمَ الخَفِيَّاتِ ، المُطَّلِعُ عَلَى الضَّمَائِرِ وَالنِّيَّاتِ ، يَا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً ، وَوَسِعَ كُلّ شَيْءٍ رَحْمَةً ، وَقَهَرَ كُلّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْماً ، اغْفِرْ لِنَا ذُنُوبَنَا ، وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا ، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،وَانْصُرْ دِينَكَ وَمَنْ نَصَرَ دِينَكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تمت

كَتَبَهُ راجي عَفْو رَبِّهِ الغَفُورِ، خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ في اللهِ:

أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد العَاطِي بن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيِّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِزَوْجِهِ، وَوَلَدِهِ وَلِلمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات.

مع تحيات/موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

